المطلب الثاني

قراءة الحسن البصري

تمهيد لابد منه قبل الدُّخول إلىٰ التَّفاصيل الخاصَّة بهذا المطلب أشار المؤلِّف إلىٰ بعضه وترك بعضه الآخر، فما ذكره نوجزه بداية في أنَّ قراءة الحسن البصري تدخل ضمن التَّصنيف الخاصِّ بالقراءات الشَّاذة، حيث لم تجد لها مكانًا بين القراءات العشر ولكن ضمَّها علماء القراءات تحت دائرة القراءات الأربعة عشر؛ وذلك لأنَّ القراءات الصَّحيحة أو المقبولة قد أحيطت بسياج من الضَّوابط والقواعد والشُّروط حتىٰ لا تمتد إليها يد آثم بالتَّغيير والتَّحريف فاتَّفق جمهور أهل العلم علىٰ هذه الشُّروط الثَّلاثة وهي: «كل قراءة وافقت العربيَّة -ولو بوجه- ووافقت أحد المصاحف العثمانية، ولو احتمالاً، وصح سندها فهي القراءة الصَّحيحة التي لا يجوز ردُّها ولا يحلُّ إنكارها، بل هي من الأحرف السَّبعة التي نزل بها القرآن، ووجب علىٰ الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين؛ ومتىٰ اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذَّة أو باطلة سواء كانت عن السَّبعة أم عمن هو أكبر منهم ...»[1].

وإن فقدت القراءة هذه الشروط فهي من باب الشَّواذ التي لا يقرأ بها في الصلاة ولا في خارجها ولكنَّها ركن وأصل من أمارات الاستشهاد والاحتجاج اللغوي عند العرب.

وقد أشار المؤلِّف إلىٰ قبول القراءات العشر إجمالاً ولكنه لم يشر إلىٰ اختلاف العلماء في القراءات الثَّلات المتمِّمة لهذه العشر والرَّاجح تواترها كما يقول ابن الجزري: «الحمد لله، القراءات السَّبع التي اقتصر عليها الشاطبي، والثلاث التي هي قراءة أبي جعفر، وقراءة يعقوب، وقراءة خلف معلومة من الدين

(1) النشر في القراءات العشر لابن الجزري 1/ 9- دار الكتب العلمية- بيروت - لبنان.

بالضرورة، وكل حرف انفرد به واحد من العشرة معلوم من الدين بالضرورة أنه منزل علىٰ رسول الله ﷺ لا يكابر في شيء من ذلك إلا جاهل، وليس تواتر شيء منها مقصورًا علىٰ مَنْ قرأ بالروايات، بل هي متواترة عند كل مسلم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ولو كان مع ذلك عاميًّا جلفًا لا يحفظ من القرآن شيئًا . . . [1]».

فالقراءات الثلاث بعد السبعة تجمع شروط القراءة الصحيحة، حيث يقول ابن الجزري: «والذي جمع في زماننا هذه الأركان الثلاثة هي قراءة الأئمة العشرة التي أجمع الناس علىٰ تلقيها بالقبول ... أخذها الخلف من السلف إلىٰ أن وصلت إلىٰ زماننا ... فقراءة أحدهم كقراءة الباقين في كونها مقطوعًا بها ... وقول مَنْ قال: إن القراءات المتواترة لا حد لها، إن أراد في زماننا فغير صحيح لأنه لا يوجد اليوم قراءة متواترة وراء العشرة، وإن أراد في الصدر الأول فيحتمل إن شاء الله[2]».

والمطالع لقراءة الحسن البصري يجد فيها كثيرًا من الظواهر اللغوية بكافة مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية ولكن ركَّز المؤلِّف علىٰ ما يتصل بالجانب الصوتي فقط، ثم قدَّم العلل والأسباب الخاصة بهذا الجانب في ضوء المعطيات الصوتية الحديثة.

(1) السابق 1/ 45، 46. وينظر: إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر. محمد البنا الدمياطي. تحقيق د. شعبان محمد إسماعيل 1/ 9- عالم الكتب - مكتبة الكليات الأزهرية - الطبعة الأولىٰ 1407هـ-1987م.

(2) منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري ص15-16- دار الكتب العلمية -بيروت 1400هـ-1980م.